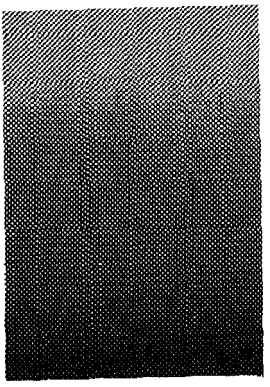

بسم الله الرحمن الرحيم

أسرار الصوم

أسرار الصوم/ أبو حامد الغزالي؛ حققه وعلق عليه وقدم له ماهر المنجد. - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦ . - ٦٤ص؛ ١٧سم
١- ٢١٦,٢٢غ ز ا أ ٢- العنوان
٣- الغزالي ٤- المنجد
مكتبة الأسد
ع- ١٥٨٤/١١/١٩٩٦

الإمام

أبو حامد الغزالي

أسرار الصوم

حقّقه وعلّق عليه وقدّم له

ماهر المنجد

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ١٠٨٥,٠١٣
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-305-4
الرقم الموضوعي: ٢١٠
الموضوع: علوم دينية
العنوان: أسرار الصوم
التأليف: أبو حامد الغزالي
التحقيق: ماهر المنجد
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٤ ص
قياس الصفحة: ١٢×١٧ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
سورية - دمشق - ص.ب (٩٦٢).
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.Fikr.com/
E-Mail: Info @Fikr.com

الطبعة الأولى
1417هـ = 1996 م

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدّمة المحقّق	٧
بيان فضل الصوم والترغيب فيه	٢١
واجبات الصيام	٣٠
ـ مراقبة أول شهر رمضان	٣٠
ـ النّية	٣١
ـ الإمساك عن تعمُّد إيصال شيء إلى الجوف	٣٣
ـ الإمساك عن الجماع	٣٣
ـ الإمساك عن الاستمناء	٣٤
ـ الإمساك عن إخراج القيء	٣٤
لوازم الإفطار	٣٥
ـ القضاء	٣٥
ـ الكفّارة	٣٥
ـ إمساك بقية النّهار	٣٦
ـ الفدية	٣٦

الموضوع	الصفحة
سنن الصيام	٣٧
أسرار الصوم وشروطه الباطنة	٤٠
صوم الخصوص والصالحين	٤١
- صوم البصر	٤٢
- صوم اللسان	٤٣
- صوم السَّمع	٤٥
- صوم بقية الجوارح	٤٦
- عدم الإكثار من الطعام	٤٧
- تعلُّق القلب بين الخوف والرَّجاء	٤٩
روح الصيام	٥٠
التَّطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه	٥٤
- صوم الأيام الفاضلة	٥٤
- صوم شهر محرم	٥٦
- صوم عشر ذي الحجة	٥٦
- صوم الدهر أو نصفه أو ثلثه	٥٧

مقدّمة المحقّق

ولِد الإمام أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي المعروف بالغزالي سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٩ بمدينة طوس في خراسان ، ثم قدِم نيسابور وهو في العشرين من عمره ، فاتصل بإمام الحرمين أبي المعالي الْجُوَيْني ، فدرس الفقه والفلسفة ، ثم عهد إليه نظام الملك وزيرُ السلطان ملكشاه السلجوقي بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٨٤ هـ ، وتعدُّ هذه المدرسة من أعظم المعاهد العلمية العالية آنذاك .

وما لبث أن مرَّ الغزالي بأزمةٍ فكرية قوامها الشك ؛ دفعته إلى التعمق في العلوم الفلسفية ، فترك التدريس وانتقل إلى الشام ، واعتكف في المسجد الأموي ، ثم ارتحل إلى القدس ،

ومن هناك انتقل إلى بلاد الحجاز وأدى مناسك الحج . ثم عاد إلى دمشق ليدرِّس العلوم الدينية في زاوية المسجد[١] .

رحل الغزالي ـ فيما بعد ـ إلى الإسكندرية في مصر فالتقى بالفقيه المشهور أبي بكر الطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك . ثم كُلِّف بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور من قِبل الوزير فخر الملك بن نظام الملك ، فبقي يدرِّس مدة سنتين قبل أن يعود إلى مدينته طوس ليلبِّي نداء ربه ، حيث وافته المنية[٢] عام ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م .

لقد كانت تجربة الغزالي الفلسفية تجربة عنيفة معقدة ؛ انتهت بانقلاب شامل على الفلسفة نجح فيه نجاحاً بارعاً . بيد أن هذا النجاح كان طعنة نجلاء قضت على ازدهار الفلسفة العقلية والانتقادية[٣] ، وأدَّت إلى جمود الإبداع الفلسفي في المشرق والمغرب معاً .

(١) انظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن ٥٣٢/٤ .

(٢) راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٥٣/٣ .

(٣) انظر : المذاهب الفلسفية للدكتور عادل العوا ، صفحة ١٨٧ .

يوضّح الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) صراعه الباطني في الكشف عن الحقيقة ، ويصف تجربته الفلسفية بأدق تعبير ، تلك التي بدأت بفك عرى التقليد والغرق في أتون الشك المنهجي ؛ الذي بقي فيه قرابة الشهرين على « مذهب الفلسفة بحكم الحال ؛ لا بحكم المنطق والمقال ، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها علي من أمن ويقين ، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ؛ بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور .. »[١] .

لقد كانت شخصية الغزالي متعددة الجوانب ؛ رحبة الآفاق ، فهو حكيم ديني ؛ وفيلسوف واقعي ؛ ومفكّر وضعي ؛ ومصلح اجتماعي ؛ ومهذّب صوفي[٢] . وقد كانت قبله حروب هائلة بين الفقهاء والمتصوفة ، فجاء الغزالي يصالح الفريقين ، ويرضي كثيراً من الفقهاء عن التصوف ؛ وكثيراً من المتصوفة

(١) انظر : كتابه (المنقذ من الضلال) صفحة ٦٣ .

(٢) راجع كتاب (الغزالي) للدكتور الشرباصي صفحة ٢٠ .

عن الفقهاء[١] . والظاهر من سيرته أنه كان نهماً في تحصيل العلم ، لم يدع باباً يظن أنه يوصله إلى معرفة الحقيقة إلا طرقه . ولم تعجبه الفلسفة والفقه المجرد من الروح ، ولا تعاليم الباطنية ، وإنما اطمأنَّ أخيراً إلى التصوف وأحبه وركن إليه[٢] ... وقد تابع الغزالي بمعنى إيجابي عمل القشيري ، وأعطى الصوفية مكاناً ثابتاً لدى أهل السُّنة ـ كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية ـ وقد كان الوجد بالنسبة له أساس كل حقيقة دينية ... وقد حاول جاهداً أن يعيد الناس إلى الدين وإلى طريق القدماء[٣] ..

ويرى (وُل دُيورانت) في قصة الحضارة أن اعتناق الغزالي لمذهب التَّصوف كان نصراً باهراً للصوفيين ، ذلك أن أهل السُّنة قد أخذوا من بعده بالتَّصوف ، حتى طغت ـ مع الأسف ـ عقائد الصوفية وقتاً ما على قواعد الدين ، وأخذ

(١) انظر : (ظهر الإسلام) لأحمد أمين صفحة ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ١٦٦/٤ .

(٣) دائرة معارف الإسلام . الطبعة الأولى عام ١٩٢٧ ـ المجلد الثاني من النسخة الفرنسية ، والمقال للمستشرق : د . ب مكدونالد .

الزهاد المتصوفة يهجرون حياة الأسرة ، ويحيون حياة الأخوة الدينية بزعامة شيخ لهم ، ويسمون أنفسهم الفقراء والدراويش[١] ..

أصل الكتاب وعملنا فيه :

إن كتاب (أسرار الصوم) هو في الأصل جزء من كتاب الغزالي الكبير الموسوم بـ (إحياء علوم الدين) ، وهو كتاب قسمه مؤلّفه إلى مجموعة كتب ، لكنه جمعها كلها في كتابه المذكور . والذي دفعنا إلى العمل في هذا الكتاب وإعادة نشره على كتب وأجزاء أسباب كثيرة ؛ منها ما يتعلق بالجانب العلمي ، ومنها ما يتعلق بجانب التّلقّي . فالكتاب الأصلي موسوعة دينية ضخمة ، وهو من أوسع كتب الغزالي شهرة ، ولكنه مع الأسف الشديد مطروح في الأسواق دون أي تحقيق علمي يضبط نصه ؛ ويقوّم أخطاءه ؛ ويرتّب أفكاره ؛ ويشرح غريبه ؛ ويغنيه بالتعليقات التي لا بدَّ منها في كتاب من هذا

(١) راجع قصة الحضارة ـ وُل ديورانت ٣٦٥/١٣ .

النوع لمؤلِّفٍ له ماله ، وعليه ما عليه ... فمن أجل هذه الأمور جميعاً كان عملنا في الكتاب ، كما قمنا بتخريج أحاديث الغزالي كافة بالاعتماد على ما أجمع عليه العلماء من كتب الحديث المعتمدة .

وذَكَرْنا أصل الحديث المرويّ كاملاً ؛ فإن كان له رواية أخرى تفيد السياق ذكرناها ، ذلك أن الغزالي ـ رحمه الله ـ كان يروي معظم الأحاديث بالمعنى ، ولا يحافظ ـ في الأغلب ـ على ألفاظ الحديث ، بل ربما ساق حديثاً شطره الأول صحيح ؛ وشطره الثاني مضاف وموضوع !! ومن هنا تأتي أهمية ذكر أصل الحديث كاملاً ، فعدم ذكر الحديث بألفاظه الأصلية قد يُغيِّر في بعض الأحيان من معناه الحقيقي ، وكذلك أيضاً ما يضاف إليه ، فقد يحرّف المعنى ويعدل به من جهة إلى أخرى . ثم إنَّ لِسياق الحديث وقصته وظروفه المحيطة أهميةً عظيمة في توجيه دلالته وفهم مغزاه الذي أُريدَ فعلاً .

وقد كان للإمام عبد الرحيم العراقي حاشية على كتاب الغزالي خرَّج فيها أحاديثه ، غير أنه كان يكتفي ـ في أغلب

الأحيان ـ بذكر مصدر الحديث فقط ؛ دون إيراد النص الأصلي للحديث بألفاظه الأساسية ، أو إيراد رواياته الأخرى إن كانت ذات أهمية ... وعلى الرغم من ذلك تبقى حاشية العراقي ذات قيمة وقد أفدنا منها .

كما خُرِّجَتْ جميع الآيات القرآنية الواردة في الكتاب وذُكِرَ اسم السورة ورقم الآية ، مع إيراد الآية المذكورة كاملة ؛ ليعرف القارئ الكريم سياقها ، لأن الغزالي كان كثيراً ما يستشهد بجزء صغير من الآية ، وربما اجتثَّ هذا الجزء من سياق الآية ؛ ليأخذ منها حكماً عاماً قد كان خاصاً في الأصل .

وقد اقتضى العمل أن نتتبع الغزالي في جميع أقواله وآرائه خطوة خطوة ، فما كان محتاجاً إلى تعليق عُلق عليه ؛ كشفاً لملابساته ؛ وبياناً لأبعاده ؛ وإرشاداً لقارئه ، وهذا الأمر هو من الأهمية بمكان ؛ خاصة إذا علمنا أن الغزالي ـ رحمه الله ـ كان في بعض الأحيان يسوق آراء شخصية بلادليل ، ومن ثَمَّ فإن العمل بها غير ملزم إطلاقاً ؛ لأنها ليست أحكاماً شرعية ، وإنما وجهة نظر مفكِّر إسلامي مال إلى الزهد والتصوف ، فبالغ أحياناً في

بعض روحانياته على حساب الواقع المعيش ومبادئ الدين ، والإسلام هو في أصله دين عملٍ وإنتاج وحضارة لا دين تواجد وذِكرٍ وتواكل ..!

وبقي علينا أن نعطي للقارئ الكريم لمحة عن بعض مصطلحات الحديث وأقسامه ليكون على بيِّنة من أمره ، لأن الغزالي كان كثير الاعتماد على الحديث النبوي الشريف في بناء آرائه وأفكاره وأحكامه .

لقد اصطلح علماء الحديث على تقسيم الحديث إلى ثلاثة أقسام :

« حديث صحيح ـ حديث حسن ـ حديث ضعيف » .

وأصل الحديث الحسن ـ وهو القسم الأوسط ـ حديث ضعيف عند العلماء المتقدمين ، ولكنهم كانوا قد قسموا الحديث الضعيف إلى متروك العمل به وإلى غير متروك العمل به ، فأما الضعيف المتروك فهو ما كان راويه كثير الغلط أو متَّهماً بالكذب . وأما غير المتروك من الضعيف فهو ما كان راويه ليس

بكثير الغلط ولا متّهماً بالكذب ، وإنما هو خفيف الضبط فحسب ، ثم سمي ـ فيما بعد ـ هذا النوع غير المتروك حديثاً حسناً .

وأما الموضوع فلم نذكره في القسمة السابقة لأنه ليس حديثاً بالأصل ، فهو كلام مختلقٌ ومكذوب ، يزعم واضعُه أنه مرويٌّ عن رسول الله ﷺ وما هو كذلك ، وقد قال السيوطي في التدريب :

« وإنما لم يُذكر الموضوع لأنه ليس في الحقيقة بحديث اصطلاحاً ، بل بزعم واضعه » .

وينبغي ههنا تذكير القارئ الكريم بالمفهوم الاصطلاحي لكل نوع من الأحاديث ، وما يترتب عليها من أحكام في التشريع ليعرف المغزى من القول في الحاشية تعليقاً على أحاديث الغزالي : هذا حديث صحيح ، وهذا حديث ضعيف ، وهذا لا أثر له في الكتب الستة ... إلخ .

لقد عرَّف ابن كثير في اختصار علوم الحديث ؛ الحديثَ

الصحيح بأنه الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه ، ولا يكون شاذّاً ولا معلّلاً .

والحديث الصحيح حُجَّة في التشريع ، بل إنه لا فرق بين القرآن وبين الحديث الصحيح في التحليل والتحريم ، وقد أجمع العلماء الأقدمون كافة ـ بما فيهم أبو حنيفة ـ على أن الحديث إذا صحَّ يُقدَّم على القياس والرأي .

أما الحديث الحسن فهو الحديث المسند الذي يتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، ولا يكون شاذاً ولا معلّلاً .

وقد يوصف الحديث الحسن بأنه (حسن صحيح) حين تكون روايته التي وُصِفَتْ بالحسن قد ثبتت من جهة أخرى لها شروط الصحة .

وأما الحديث الضعيف فهو ما لم يتحقق فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحديث الحسن . وله أنواع كثيرة منها الْمُرسَل والمنقَطِعُ والْمُعْضِلُ والْمُدَلَّس والْمُعَلَّل والْمُضْطَرب والمقلوب والشّاذ والْمُنْكَرُ ... إلخ .

والحديث الضعيف لا يجوز العمل به ؛ أو الأخذ به في أي وجه من الوجوه ولا حتى في فضائل الأعمال . وأما عبارة القدماء :

« إذا روينا في الحلال والحرام شدَّدْنا ، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا » ، فقد فُهِمَتْ على نحو مغلوط ، وهي لا تعني جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال ، وفي ذلك يرى الدكتور صبحي الصالح[1] ـ رحمه الله ـ أن المقصود بالتشدد هو أنهم لا يحتجون إلا بأعلى درجات الحديث وهو الصحيح . والمقصود بالتساهل هو قبول ما هو دون الصحيح في المرتبة ، وهو الحديث الحسن الذي لم تكن تسميته قد استقرت في عصرهم ، وقد كان يُعدُّ قسماً من الضعيف ـ كما ذكرنا ـ وهو غير المتروك .

إن الحديث الضعيف لا يمكن أن يكون مصدراً لحكم شرعي ، ولا لفضيلة خلقية ، لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً ،

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ .

والفضائل كالأحكام هي من دعائم الدين الأساسية ، ولا يجوز أن تكون هذه الدعائم مبنية على أساس هش ، وزوايا ضعيفة أساسها الشك ، فالدين لا يقوم إلا على اليقين ..

وبقي أن نشير إلى الخبر الموضوع الذي يزعم واضعه أنه حديث عن رسول الله ﷺ ، وهو خبر يصنَعُه أحد الكذّابين ، ويصوغ ألفاظه ، ويخترع له سنداً ، ثم ينسبه إلى الرسول ﷺ .

وقد كان للوضع أسباب كثيرة منها الخصومة السياسية ، والانتصار للمذهب ، والخلافات الكلامية والفقهية ، والتَّشبُّه بأهل العلم ، والتَّكسُّب والارتزاق ، وما شاكل ذلك ..

بيد أن جهابذة العلماء الأقدمين نهضوا نهضة قوية لتنقية الحديث مما دخله وحُمِل عليه ، وسلكوا في ذلك جملة مسالك واضعين منهجاً علمياً دقيقاً ؛ يميِّزون به الغثَّ من السَّمين ، فمن ذلك أنهم وضعوا قواعد أساسية للكشف عن الخبر الموضوع والحديث المكذوب ، فإن توافر واحد منها حكموا بكذب الخبر .

كما وضعوا علم الجرح والتعديل ، ودراسة رجال الأسانيد ، وقسموا الحديث تقسيماً دقيقاً من حيث قوته والأخذ به ، ووضعوا له المصطلحات والتسميات ..

وأما كتب الحديث فأصحّها ما يطلق عليه العلماء اسم (الكتب الستة) ، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود ، ومجتبى النَّسائي ، وموطأ الإمام مالك ، وقد اختلف العلماء في الكتاب السادس ، فمنهم مَن جعله سنن ابن ماجه بدلاً من موطأ مالك ... لكننا حين نذكر للقارئ الكريم في الحاشية عبارة (الكتب الستة) فإننا نقصد التقسيم الأول الذي يشمل الموطأ . وقد عوّلنا على هذه الكتب الستة في تخريج الأحاديث التي يذكرها الغزالي ، وجعلناها معتمدنا الأساسي مع النظر أحياناً إلى كتابي أحمد وابن ماجه . ولم نفعل غيرها من كتب الأحاديث استئناساً لا اعتماداً لأن هذه الأخيرة تكثر فيها الأحاديث الضعيفة من شاذ ومنكر ومضطرب وما شاكله ... مع عدم معرفة حال رجالها ، وهذا بالنسبة لأفضلها ، إذ إنّ هناك مصنفات أخرى أكثر سوءاً